من تراب الطريق (٢٩٤) كيف لا نحزن ؟! (*)

صعب على أى إنسان صاحب إحساس أن ينتشل أو يحفظ نفسه من جالبات الأحزان المتزايدة يوما وراء يوم فى بلادنا .. أينما يولى نظره يصادف ما يضنى ويوجع ويوئس ويحبط ويجعل الحياة بطعم الحنظل .. أيام الفتن يُقال من باب النصيحة : «أغلق عليك بابك» .. ولكن لو استطاع الإنسان أن يعتزل ويغلق عليه بابه ، هل بمستطاعه أن يغلق عقله ويلغى حواسه البصرية والسمعية التى تطلعه من خلال الصحف والمرئيات والمسموعات على» السداح مداح» أو «اللبن سمك تمر هندى» الجارى على أرض وجو الكنانة .. نعم الجو نفسه تسمم بممارسات وأساليب وفساد وجنوحات وضلالات وتمويهات وتمثيليات لم نعهدها فى بلادنا حتى فى أشد العهود ظلاما وإظلاما ! لا يستطيع راغب فى فهم حقيقة ما يجرى إلاّ أن يضرب أخماساً فى أسداس .. فإن انكشف عنه الغطاء أبصر من وراء الحجب الكثيفة ما يعز على كل مخلص أن يكون هذا هو حال إدارة وتصريف شئون مصر المحروسة !!

يصعب على المتأمل أن يعزو الاشتباكات المحتدمة إلى محض المصادفة أو سوء التقدير .. فأى تقدير يغفل عن أن إثارة الاحتقانات سياسة غير

(*) المال ١٤/ ٧/ ٢٠٠٩

محمودة .. الحكومة لاتكاد تنفض يدها بنحو أو بآخر من احتقان حتى تدفع الأمور إلى احتقان أو احتقانات أخرى ، تفعل ما تريد ومن لا يعجبه يستطيع أن يضرب رأسه فى الحائط أو يشرب من ماء البحر أو يلقى بنفسه فيه ! هل صارت مثلا ! إثارة القضاء واستفزازه هدفاً مرجوًّا .. وإلاّ فلماذا ملاحقة القضاة بكل ما يغضب ويستفز .. ما حكاية تعديل تشكيل مجلس القضاء الأعلى فى الاجتماع واليوم الأخير لرئيسه وأربعة من أعضائه أحيلوا للمعاش ؟! وما الذى شجر فجأة وأغبية المجلس تلملم متعلقاتها للرحيل حتى يعرض هذا الأمر الخطير فى جلسته ويومه الأخير وفى مصادرة غير محمودة وغير لائقة على الرئيس الجديد والتشكيل الذى تغير معظمه بفعل المعاش للمجلس ؟! وهل طرأت الفكرة بغتة بعد انتهاء دور الانعقاد لمجلسى الشعب والشورى .. ماهى الظروف الخطيرة المفاجئة الملحة التى دعت السيد وزير العدل للانتفاض بغتة لتقديم هذا المشروع الذى أثار القضاة وأنديتهم وأثار الرأى العام بعد انفضاض مجلسى الشعب والشورى ، وعرضه على مجلس القضاء الأعلى فى اليوم الأخير لتشكيله الذى خرج منه فى اليوم التالى رئيسه وأربعة من أعضائه ولم يبق إلاّ اثنان ؟! .. وماهى علة أو حكمة تصعيد الرئيس السابق للجنة انتخابات محكمة جنوب القاهرة مرتين فى أسبوعين ، الأولى إلى مساعد الوزير مع حفل تكريم بعد أن عطل انتخابات نقابة المهندسين ، وفى وقت كانت تجب فيه المراجعة عن الإصرار على إجراء انتخابات نقابة المحامين رغم حكم محكمة النقض الذى قرر فى وضوح وجلاء أن المجلس المؤقت لمحكمة استئناف القاهرة هو وحده المختص دون

غيره بإجراء هذه الانتخابات التى تعثر إعلان نتيجة العضوية فيها ثلاثة أيام كانت حُبْلى بأمور سوف يكشف عنها التاريخ .. جرى فيها الرتق والتعديل حتى نقلت مصادر موثوقة أن «محظى» الحزب الحاكم لم يحصل إلاّ على (٢٢٠) صوتا فصارت بقدرة قادر عدة آلاف ؟!

أما التصعيد الثانى الملاحق للتصعيد الأول فى بحر أسبوعين ، فهو إلى رئاسة المحكمة الدستورية العليا وبالتالى إلى رئاسة اللجنة المشرفة على الانتخابات القادمة لرئاسة الجمهورية .. لقد بدأت الكتابات تلح على هذه المسألة ، ولكنى لا أريد أن أسارع إلى سوء الظن ، وأتساءل فقط عن الأقدميات والمعايير وعن الأسباب التى دعت إلى إغفال الأقدمية وترك الاختيار من أعضاء المحكمة الدستورية العليا وكفاءات عالية بين كبار رجال القضاء ومستشارى محكمة النقض ؟!

نرى كل يوم ردود أفعال رجال القضاء ، وتبرمهم وضيقهم وغضبهم وأسباب وأسانيد احتجاجهم على مشروع قانون تعديل تشكيل مجلس القضاء الأعلى الذى يضرب استقلال القضاء من خلال إضافة عناصر مختارة ومعينة أصلا فى مواقعها بقرار وزير العدل المنتمى للسلطة التنفيذية !

مع قلقلة القضاء وضرب استقلاله فى الصميم ، تتوالى بالونات الاختبار وتهيئة التربة لحل مجلس الشعب، أى لضرب السلطة التشريعية ، بقرار رئاسى صادر عن السلطة التنفيذية لغير سبب واضح يبيحه أو يتطلبه الدستور والقانون ، ولكن الأسباب يقال إنها كامنة وراء الكواليس وإن

لم تهدأ الأقلام عن الإشارة إليها تلميحاً أو تصريحاً !!!

لم أعد أدرى ما هو النص ؟! .. هل هذا هو النص اللائق بمصر ومصير مصر ؟! وهل ما تجرى به أقلام حملة المباخر من مغالطات مقرونة بالسب والقـــذف و«الردح» و«الشرشحة» صار هو لغة الخطاب فى بَرّ مصر؟!

كنت قد أمسكت بكتاب : «لا تحزن» آملاً أن أقرأ فيه ما يقاوم حزنى ، فلم أملك إلاّ أن أضعه جانبا ، فجالبات الأحزان فى بلادنا أعصى من أن تكفكفها أو تسرى عنها كلمات أيا كانت .. الحزن صار كامنا متغلغلا فى نسيج وصفحة وجدان الناس فى بلادنا !!!

*****